

والسحر (١) ، وفي تفسير حلم نموذجي آخر هو الحلم (بالحرابي) (٢) الذي يعتقد العامة أنه يعلن عن حضور ضيف . وتوصلنا بهما إلى نتائج فاقت ما كان مقدراً لها من قبل . وعند ما بدأنا في كتابة هذا الموضوع ، كان غرضنا عرض مختلف الآراء التي قيلت في تفسير حلم فقدان الأسنان . فإذا بنا انتهى منه وقد فسرنا عادة خلع السن عند البدائيين ، وسأحمنا بتفسير جديد لهذا الحلم ، وفسرنا تأويله الشعبي كذلك . فإذا كان التوفيق حليفنا ، فلأن التمسك بالطريقة رائدنا .

نعجيب يوسف بدوى

حول مشكلة الوراثة والبيئة

لا بد أن يجد كل بحث علمي ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ميدانه التطبيقية إذ أن الواقع وما يكتشفه من غموض وإشكال هو الذي يوحى إلى العالم بموضوع بحثه ويدفعه إلى مواصلة البحث لإزالة الغموض قدر المستطاع أو إيجاد حل للإشكال أو على الأقل الكشف عن أنجح الوسائل للوصول إلى الحل المنشود . وتتفاوت المسائل العلمية من حيث قرب اتصالها بالميدان التطبيقية أو بعدها عنه . ومن المشكلات العلمية التي لا تزال رهن البحث والمناقشة والتي تربطها صلات وثيقة جداً بميادين التطبيقية مشكلة الوراثة والبيئة . وهذه الميادين حيوية للغاية إذ أنها تشمل كل ما يتعلق بالتربية والأخلاق والإصلاح الاجتماعي . فموضوع التطبيقية ليس المادة الجامدة بل الإنسان في مختلف أطوار حياته ومختلف ميادين نشاطه الفردي والاجتماعي . وبما أن دراسة عوامل الوراثة وقوانينها وكذلك دراسة عوامل البيئة وطرق تفاعلها وتقدير أثر كل عامل منها بالنسبة إلى الآخر وطبيعة التأثير المتبادل بين الوراثة والبيئة لا تزال حديثة العهد ونتائجها قليلة وجزئية فلا غرو أن نجد بعض من يهمهم قبل كل شيء التطبيقية في مجال التربية والسياسة يسرعون في تأويل بعض النتائج الجزئية المحدودة التي تلائم مذهبهم العملي على أنها حقائق عامة

(١) « السحر » عدد يونيو سنة ١٩٥٠ مجلد ٦ .

(٢) « تأويل شعبي لحلم تنبؤي » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٠ مجلد ٦ .

ثابتة مدعمة يمكن تطبيقها بأمان على الجنس البشري ، غافلين الفوارق الأساسية التي تفصل بين النبات أو الحيوانات الدنيا والإنسان .

من الطبيعي أن يؤمن المرابي أو المصلح الاجتماعي بعظم أثر التمرين والتدريب والتعليم في تغيير طبيعة الإنسان ورفع مستوى فاعليته وأن يرجح كفة البيئة على الوراثة . فإن هذا الموقف صادر عن تفاؤل جميل في حين أن أنصار الوراثة الذين يحصرون أثر البيئة في حدود ضيقة جداً يحق لنا أن نعتبرهم من المتشائمين . ولكن مهما كان التفاؤل أبجل من التشاؤم وأدعى إلى إثارة الحماس والحمية فلا شك في أن التشاؤم المستنير أفضل من التفاؤل الأعمى وأدعى إلى الحذر والحيطه والشك . وإذا كان الحماس من الصفات التي يجب أن يتصف بها العالم فهناك صفات أخرى تفوق الحماس من حيث ملاءمتها للروح العلمية الصحيحة وهي صفات الحذر والحيطه والشك والنقد . ثم يجب أن نذكر حقيقة جوهرية وهي أنه لا يمكننا أن نسيطر على الطبيعة ونتحكم فيها إلا بالخضوع لها أي بعد الكشف عن قوانينها ولا بد أن تكون هناك قوانين وإلا أصبح العلم إما لهواً وعبثاً أو خداعاً وسراباً ، والإيمان الأعمى بسلطان البيئة مع إغفال العوامل الوراثية لا بد أن يؤدي في نهاية الأمر إلى زيادة التوتر المنذر بالانفجار ، خاصة إذا اصطنع هذا الإيمان بصبغة سياسية رسمية^(١) وحلت حجة الدولة محل العقل Substituer la Raison d'Etat à la Raison وفي هذه الحالة قضاء لا على سعادة الإنسان فحسب بل على العلم نفسه .

يوسف مراد

(١) راجع ص ٢٨ من مقال :

R.B. Cattell : The integration of Psychology with moral values. The Brit. J. of Psych. September 1950. Pp. 25-34.